دعاء القنوت في الوتر

رواية ودراية.

أ.د. بندر بن نافع العبدلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم وبارك على مُحَمَّد وعلى آله وصحبه.

أما بعد

فهذا بحث مختصر في حديث دعاء القنوت المشهور وهو حديث الحسن بن علي ﷺ كنت قد ألقيته قبل سنوات في دورة علمية ... ثم أعدت النظر فيه وألحقت بعض الإضافات ...

وقد اشتمل على ثلاثة مباحث :

الأول : تخريجه وطرقه.

الثاني : في شرح ألفاظه ومعانيه.

الثالث : بعض المسائل المتعلقة به.

والله أسأل أن ينفع به وأن يجعله خالصاً لوجهه موصلاً إلى رضوانه وجنته إنه جواد كريم.

نص الحديث:

"اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ ".

المبحث الأول : تخريجه وطرقه:

هذا الحديث له طريقان مشهوران :

الطريق الأول: بريد بن أبي مريم ، عن أبي الحوراء السعدي ، عن الحسن بن علي ﷺ قال : علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر ... فذكره.

وقد رواه عن بريد جماعة منهم :

١- أبو إسحاق السبيعي.

أخرجه أبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤)، والنسائي (١٧٤٥)، والدارمي (١٥٩٣)، والطبراني في "الكبير"(٧٤/٣) ح (٢٧٠٥) من طريق أبي الأحوص سلاَّم بن سليم.

وأبو داود (١٤٢٦) من طريق زهير بن معاوية، وابن ماجة (١١٧٨)، وأحمد (١٧٣٥) من طريق شريك النخعي.

وعبد الرزاق (٤٩٨٥) وعنه أحمد (١٧٢١) عن سفيان الثوري.

والدارمي (١٦٣٣)، والبيهقي (٣١٣٨) من طريق إسرائيل بن أبي إسحاق.

والطبراني في "الكبير" (٧٢٠١)، وفي "الدعاء" (٧٤٠) من طريق موسى بن عقبة.

والطبراني أيضاً في "الدعاء"(٧٤٢) من طريق زياد بن خيثمة، وفيه (٧٤٣) من طريق أبي بكر بن عياش.

ثمانيتهم – أبو الأحوص ، وزهير بن معاوية ، وشريك ، والثوري ، وإسرائيل ، وموسى بن عقبة ، وزياد بن خثيمة ، وأبو بكر بن عياش – عن **أبي إسحاق** عن بريد بن أبي مريم به.

لكن قال شريك – عند أحمد – : عن الحسن بن علي، وشك إسرائيل – عند البيهقي– فقال : الحسن أو الحسين.

قلت: وذكر الحسين فيه وهم، فقد قال الحافظ ابن حجر في " التلخيص" (٢٤٩/١):"والحديث من حديث الحسن لا من حديث أخيه الحسين ، فإنه يدل على أن الوهم فيه من أبي إسحاق ، فلعله ساء فيه حفظه فنسي هل هو الحسن أو الحسين ...".

٢- يونس بن أبي إسحاق.

أخرجه أحمد (١٧١٨)، وابن خزيمة (١٠٩٥) ، والطبراني (٢٧١٢) من طريق وكيع بن الجراح ، والبيهقي في " معرفة السنن والآثار " (٣٩٩٦) من طريق عبيد الله بن موسى.

كلاهما – وكيع وعبيد الله – عن **يونس بن أبي إسحاق** ، عن بريد بن أبي مريم به.

٣– الحسن بن عمارة.

أخرجه عبد الرزاق (٤٩٨٤) ، ومن طريقه الطبراني في "الكبير" (٢٧١١) عن **الحسن بن عمارة** ، عن بريد بن أبي مريم به وفيه :" وعلمني كلمات أدعو بهن في آخر القنوت ".

٤– شعبة بن الحجاج.

أخرجه أحمد (١٧٢٣) ، (١٧٢٧) ، والدارمي (١٦٣٢) ، وأبو يعلى (٦٧٥٩) ، وابن خزيمة في "صحيحه" (١٠٣٠) ، والطبراني في "الكبير" (٢٧٠٧) ، وفي "الدعاء" (٧٤٤) من طريق شعبة ، عن بريد بن أبي مريم به.

وفيه:"كان يدعو بهذا الدعاء".

وفي لفظ آخر:"كان يعلمنا هذا الدعاء".

وهو المحفوظ عنه.

وورد عند الطبراني بلفظ "علمني أن أقول في الوتر". وهو شاذ

٥– الحسن بن عبيد الله.

أخرجه الطبراني في "الكبير" (٢٧٠٨) ، وفي "الدعاء" (٧٤٥) من طريق **الحسن بن عبيد الله** ، عن بريد بن أبي مريم به وفيه "كلمات أقولهن عن انقضائهن" أي الصلوات الخمس.

وفي الدعاء : "كلمات أقولهن عند انقضاء الوتر".

٦– العلاء بن صالح.

أخرجه الطبراني في " الدعاء" (٧٤٨) ، والبيهقي (٣١٣٩) من طريق **العلاء بن صالح** ، عن بريد بن أبي مريم به ، وعند البيهقي بلفظ "وعلمني دعوات أقولهن".

الطريق الثاني: يحيى بن عبد الله بن سالم ، عن موسى بن عقبة ، عن عبد الله بن علي ، عن الحسن رضي الله عنه فذكره.

أخرجه النسائي (١٧٤٦) ، وفي "الكبرى" (١٤٤٧) من طريق عبد الله بن وهب ، عن يحيى بن عبد الله به وفيه :" علمني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات في الوتر".

* وخالفه إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة.

فرواه عن موسى بن عقبة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما .... فذكره.

أخرجه ابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٤١٥) ، وفي "السنة" (٣٨٤) ، والطبراني في "الأوسط" (٣٨٨٧) ، وفي "الدعاء" (٧٣٥) ، والحاكم في "مستدركه" (٤٨٠٠) من طريق مُحَمَّد بن أبي فديك ، عن إسماعيل بن إبراهيم به.

❋ وخالفه أيضاً مُحَمَّد بن جعفر بن أبي كثير.

فرواه عن موسى بن عقبة ، عن أبي إسحاق ، عن بريد بن أبي مريم به.

نقله الحافظ ابن حجر في "تلخيص الحبير" (١/٦٠٥).

الحكم عليه:

الحديث بذكر الدعاء في الوتر لا يثبت فهو شاذ ، والمحفوظ فيه الاطلاق بدون تخصيص الوتر نص على ذلك الأئمة.

قال ابن خزيمة – بعد أن ذكر رواية شعبة – :" ولم يذكر القنوت ولا الوتر ، وشعبة أحفظ من عدد مثل يونس بن أبي إسحاق ، وأبو إسحاق لا يعلم أسمع هذا الخبر من بريد ، أو دلسه عنه ، اللهم إلا أن يكون كما يدعي بعض علمائنا أن كل ما رواه يونس عمن روى عنه أبوه أبو إسحاق هو مما سمعه يونس مع أبيه ممن روى عنه ، ولو ثبت الخبر عن النبي ﷺ أنه أمر بالقنوت في الوتر ، أو قنت في الوتر لم يجز عندي مخالفة خبر النبي ﷺ ، ولست أعلمه ثابتا ".[١]

وقال بن حبان :" هذا خبر رواه أبو إسحاق ، عن بريد بن أبي مريم ، وسمعه ابناه إسرائيل ويونس عن أبيهما ، وعن بريد بن أبي مريم ، وأبو إسحاق السبيعي كان مدلساً لا يصغر عن بريد بن أبي مريم ، بل هو أعلى إسناداً منه ، ولكن لا ندري أسمع هذا الخبر من بريد أم لا.. ؟

ثم قال :" وهذه اللفظة " علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر " ليست بمحفوظة ، لأن الحسن بن علي قبض المصطفى وهو ابن ثمان سنين ، فكيف يعلّم المصطفى ابن ثمان سنين دعاء القنوت في الوتر ، ويترك أولي الأحلام والنهى من الصحابة ولا يأمرهم به !!

قال : وشعبة بن الحجاج أحفظ من مائتين مثل أبي إسحاق وابنيه ، وقد روى هذا الخبر عن بريد بن أبي مريم من غير ذكر القنوت ولا الوتر فيه ، وإنما قال :"كان يعلمنا هذا الدعاء" ، وقد سمعه من بريد بن أبي مريم مراراً ، فلو كانت هذه اللفظة محفوظة لبادر بها شعبة في خبره ، إذ الاتقان به أحرى والضبط للإسناد به أولى من أبي إسحاق وابنيه " أ.هـ [٢]

---

(١) "صحيح بن خزيمة" (١/٥٤٤).

(٢) "البدر المنير" (٣/٦٣٤) نقلاً عن " وصف صلاة السنة " لابن حبان

وبالنظر إلى **التخريج السابق** للحديث يقال :

أما **طريقه الأول** فإن أصحاب بريد بن أبي مريم قد اختلفوا عليه :

فذكر أبو إسحاق وابنه يونس والحسن بن عمارة والحسن بن عبيد الله – في رواية- الحديث بلفظ :" أقولهن في قنوت الوتر".

وخالفهم شعبة فذكره بلفظ :"كان يعلمنا هذا الدعاء".

وشعبة إمام متقن ، وهو أحفظ ممن خالفه بكثير فقوله مقدم.

وتابعه العلاء بن صالح فلم يذكر الوتر.

وتابعه أيضاً الحسن بن عبيد الله في رواية أخرى عنه فلم يذكر الوتر...

وهذا يقوي رواية شعبة وأنها هي المحفوظة...

وأما **طريقه الثاني** فإنه لا يصح فيه علتان :

الأولى : الانقطاع ، فإن عبد الله بن علي لم يدرك الحسن بن علي. نص على ذلك الحافظ بن حجر [١]

الثانية : أنه قد اختلف على موسى بن عقبة في إسناده.

فرواه يحيى بن عبد الله بن سالم عنه كما تقدم.

ورواه مُحَمَّد بن جعفر بن أبي كثير ، عنه ، عن أبي إسحاق ، عن بريد به ، فرجع به إلى طريقه الأول عن أبي إسحاق.

وروايته أرجح لأنه أوثق من يحيى بن عبد الله بن سالم [٢]

ورواه إسماعيل بن إبراهيم ، عنه ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة عن الحسن.

وروايته ضعيفة ، قال الطبراني – بعد إخراجه – :" ولم يرو هذا الحديث عن هشام بن عروة إلا موسى بن عقبة ، ولا رواه عن موسى بن عقبة إلا ابن أخيه إسماعيل بن إبراهيم ، تفرد به : ابن أبي فديك ، ولا يروى عن عائشة عن علي إلا بهذا الإسناد" [٣]

---

(١) "تهذيب التهذيب" (٣٢٥/٥).

(٢) انظر "التقريب" (٤٧١/١) ، (٥٩٢/١).

(٣) " المعجم الكبير" (٣٨٨٧).

والحديث له طرق أخرى وقع فيها اختلاف ولا يصح منها شيء.

وقد نص جماعة من الأئمة على أنه لم يثبت عن النبي ﷺ في قنوت الوتر حديث.

قال الإمام أحمد :" ولم يصح عن النبي ﷺ في قنوت الوتر قبل أو بعد شيء".[١]

وقال ابن عبد البر :" لا يصح عن النبي ﷺ في القنوت في الوتر حديث مسند". [٢]

وتقدم قول ابن خزيمة :" ولست أحفظ خبراً ثابتاً عن النبي ﷺ في القنوت في الوتر".

المبحث الثاني: في شرح ألفاظه ومعانيه. [٣]

قوله :" اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ" أي دلَّني على الحق، ووفقني للعمل به، وذلك لأن الهداية التامة النافعة هي التي يجمع فيها للعبد بين العلم والعمل، لأن الهداية بدون عمل لا تنفع بل هي ضرر.

مثال الهداية العلمية بدون العمل، قوله تعالى(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى)[فصلت:١٧]، أي بيَّنا لهم الطريق وأبلغناهم العلم، ولكنهم استحبوا العمى على الهدى.

ومن الهداية التي هي العلم وبيان الحق قوله تعالى للنبي ﷺ :(وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[الشورى:٥٢]، أي تدل وتبين وتعلم الناس الصراط المستقيم.

وأما الهداية التي بمعنى التوفيق فمثل قوله تعالى : (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ)[القصص:٥٦]، هذه هداية التوفيق للعمل، فالنبي ﷺ لا يستطيع أن يوفق أحداً للعمل الصالح أبداً.

ففي قوله:" اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ"، سؤال الهدايتين، هداية العلم وهداية العمل.

وهاتان الهدايتان هي التي جاء بهما النبي ﷺ كما في قوله تعالى:(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ) [التوبة:٣٣]، الهدى إشارة إلى العلم النافع، ودين الحق إشارة إلى العمل الصالح.

وقوله:" فِيمَنْ هَدَيْتَ" هذا من باب التوسل ، توسل العبد إلى ربه، بتفضله وإنعامه على من هدى أن ينعم عليه بالهداية.

وقوله: " وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ".

سؤال الله تعالى العافية يشمل أمرين: العافية من أمراض القلوب، والعافية من أمراض الأبدان، وأمراض القلوب أعظم من أمراض البدن، ولهذا نقول :"اللهمَّ لا تجعل مصيبتنا في ديننا".

---

(١) "مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله " (٣٢٣)

(٢) "الاستذكار" (٧٧/٢)

(٣) بتصرف واختصار من شرح شيخنا ابن عثيمين رحمه الله لهذا الحديث

وهي تعود إلى شيئين:

١- أمراض الشهوات التي منشؤها الهوى، أن يعرف الإنسان الحق لكنه يعرض عنه ولا يريده.

٢- أمراض الشبهات التي منشؤها الجهل، يفعل الباطل ويظنه حقاً، فالأول يُدفع بالعلم، والثاني يُدفع بالصبر. قال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ) [البقرة:١٥٣].

واعلم أن الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ جمعت بين سؤال العفو والعافية، لأن العبد بين حالين، حال انقضى منها، وحال هو فيها، ويستقبل ما بعدها، فهو مفتقر في الحال التي سلفت إلى عفو الله سبحانه، ومفتقر في الحال الباقية إلى العافية منه سبحانه، فإذا دعا الداعي ربه فقال : "اللهمَّ إني أسألك العفو" تعلَّق بما بمضى، والعافية تعلق بما بقي مما هو حاضر فيه أو مستقبل له، وأرشد العبد إلى تكرار الدعاء به طرفي النهار إذا أصبح وإذا أمسى.

وقوله: " وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ".

أي كن ولياً لي، والولاية المضافة إلى الله نوعان:

١- ولاية خاصة وهي للمؤمنين ، كما قال تعالى :(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)[البقرة:٢٥٧].

٢- ولاية عامة وهي لجميع المخلوقين تشمل كل أحد ، كما قال تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ) [الأنعام:٦١].

لكن عندما نقول :" اللهمَّ اجعلنا من أوليائك" أو " اللهمَّ تولنا"، فإننا نريد بها الولاية الخاصة، وهي تقتضي العناية، والتوفيق لما يحبه الله ويرضاه.

وقوله: " وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ".

البركة هي الخير الكثير الثابت، مشتقة من البِركة – بكسر الباء – وهو مجمع الماء، فهي شيء واسع ماؤه كثير ثابت، فقول الداعي " وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ" أي أنزل لي البركة فيما أعطيتني.

والعطاء يتنوع إلى أنواع كثيرة من ذلك المال، والعلم والولد، وليست منفعة العطاء بكونه في يد الإنسان، ولكن منفعة العطاء بكونه مباركاً فيه.

من الناس من عنده ولد لكنه عاق لم يبارك فيه، ومن الناس من عنده علم لكن لم ينتفع الناس بعلمه، لا بتدريس ولا بتوجيه، ولا بتأليف، بل هو منحصرٌ على نفسه، وهذا حرمان عظيم، لأن العلم إذا علَّمته غيرك ونشرته بين الناس أجرت على ذلك من عدة وجوه :

الأول : أن نشرك للعلم نشراً لدين الله عز وجل، فتكون من المجاهدين في سبيل الله، لأنك تفتح القلوب بالعلم، كما يفتح المجاهد البلاد بالسلاح والإيمان.

الثاني: من بركة نشر العلم وتعليمه أن فيه حفظاً لشريعة الله عز وجل، وحماية لها، لأنه لولا العلم لم تحفظ الشريعة.

الثالث: من بركة نشر العلم أنك تُحسِن إلى هذا الذي علَّمته، لأنك تبصّره في دين الله عز وجل، فإذا عبد الله على بصيرة كان لك مثل أجره، لأنك أنت الذي دللته على الخير ، والدال على الخير كفاعله.

الرابع: أن في نشر العلم وتعليمه زيادة له، فعلم العالم يزيد إذا علّم الناس، لأنه استذكار لما حفظ وانفتاح لما لم يحفظ، كما قال القائل :

يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص إن به كفًّا شددتا.

أي إذا أمسكته ولم تعلمه نقص.

وقوله :"وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ"، قضاء الله عز وجل نوعان: قضاء بالخير، وقضاء بالشر.

أما قضاؤه بالخير: فهو خير محض في القضاء والمقضي.

مثال ذلك: القضاء للناس بالرزق الواسع، والأمن والطمأنينة، والهداية والنصر...إلخ ، هذا خير في القضاء والمقضي.

وأما القضاء بالشر فهو : خير في القضاء ، شر في المقضي.

مثال ذلك: القحط هذا شر، لكن قضاء الله به خير، كيف يكون القضاء بالقحط خير؟ لو قال قائل: إن الله يقدّر علينا القحط، والجدب، فتموت المواشي، وتفسد الزروع ، فما وجه الخير؟

نقول: استمع إلى قول الله سبحانه وتعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)[الروم:٤١].

إذاً لهذا القضاء غاية حميدة، وهي الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى من معصيته إلى طاعته، فصار المقضي شراً، والقضاء خيراً.

وعلى هذا فـ ((ما)) هنا اسم موصول.

والمعنى: قِني شرَّ الذي قضيت، فإن الله تعالى يقضي بالشر لحكمة بالغة حميدة، وليست (ما) هنا مصدرية أي شر قضائك لكنها اسم موصول بمعنى الذي، لأن قضاء الله ليس فيه شر، ولهذا قال النبي ﷺ فيما أثنى به على ربه : " والخير بيديك، والشر ليس إليك"، لهذا لا ينسب الشر إلى الله سبحانه وتعالى.

وقوله "إِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ" الله عز وجل يقضي قضاء شرعيًّا وقضاء كونياً، فالله تعالى يقضي على كل شيء ، وبكل شيء، لأن له الحكم التام الشامل.

" وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ" أي لا يقضي عليه أحد، فالعباد لا يحكمون على الله، والله يحكم عليهم، العباد يُسألون عما عملوا، وهو لا يُسأل: (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) [الأنبياء:٢٣].

قوله: "إِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ"، وهذا كالتعليل لقولنا فيما سبق، " وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ"، فإذا تولى الله الإنسان فإنه لا يذل، وإذا عادى الله الإنسان فإنه لا يعز.

ومقتضى ذلك أننا نطلب العز من الله سبحانه، ونتقي من الذل بالله عز وجل، فلا يمكن أن يذل أحد والله تعالى وليه، فالمهم هو تحقيق هذه الولاية، وبماذا تكون هذه الولاية؟

هذه الولاية تكون بوصفين بيَّنهما الله عز وجل في كتابه ، فقال عز وجل: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) [يونس:٦٢].

وصفات أحدهما في القلب، والثاني في الجوارح، (الَّذِينَ آمَنُوا) في القلب، (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) هذه في الجوارح، فإذا صلح القلب والجوارح، نال الإنسان الولاية بهذين الوصفين، وليست الولاية فيمن يدّعيها من أولئك القوم الذين يسلكون طرق الرهبان، وأهل البدع الذين يبتدعون في شرع الله ما ليس منه، ويقولون نحن الأولياء، فولاية الله عز وجل التي بها العز هي مجموعة في هذين الوصفين: الإيمان والتقوى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أخذاً من هذه الآية :(الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ):" من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً"، وصدق رحمه الله؛ لأن هذا الذي دلَّ عليه القرآن.

قوله " وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ" يعني أن من كان عدواً لله فإنه لا يعز، بل حاله الذل والخسران والفشل، قال الله تعالى: (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ)[البقرة:٩٨]، فكل الكافرين في ذل وهم أذلة، ولهذا لو كان عند المسلمين عز الإسلام، وعز الدين، وعز الولاية، لم يكن هؤلاء الكفار على هذا الوضع الذي نحن فيه الآن، حتى إننا ننظر إليهم من طرف حفي، ننظر إليهم من طريق الذل لنا، والعز لهم، لأن أكثر المسلمين اليوم مع الأسف لم يعتبروا بدينهم، ولم يأخذوا بتعاليم الدين، وركنوا إلى مادة الدنيا، وزخارفها، ولهذا أصيبوا بالذل، فصار الكفار في نفوسهم أعز منهم، لكننا نؤمن أن الكفار أعداء لله، وأن الله كتب الذل على كل عدو له، قال الله تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ)[المجادلة:٢٠]،وهذا خبر مؤكد، ثم قال:(كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)، فمن عادى الله عز وجل فهو ذليل لا يمكن أن يكون عزيزاً إلا في نظر من لا يرى العزة إلا في مثل ما كان عليه هذا الكافر، وأما من نظر أن العزة لا تكون إلا بولاية الله عز وجل والاستقامة على دينه فإنه لا يرى هؤلاء إلا أذلّ خلق الله.

قوله " تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ" هذا ثناء على الله عز وجل بأمرين: أحدهما التبارك، والتاء للمبالغة، لأن الله عز وجل هو أهل البركة " تَبَارَكْتَ" أي كثرت خيراتك وعمَّت ووسعت الخلق، لأن البركة كما قلنا فيما سبق هي الخير الكثير الدائم.

وقوله" رَبَّنَا" أي يا ربنا، فهو منادى حذفت منه ياء النداء.

وقوله:" وَتَعَالَيْتَ" من العلو الذاتي والوصفي، فالله سبحانه وتعالى عليٌّ بذاته وعليٌّ بصفاته، عليٌّ بذاته فوق جميع الخلق، وعلوه سبحانه وتعالى وصف ذاتي أزلي أبدي، أما استواؤه على العرش فإنه وصف فعلي يتعلق بمشيئته سبحانه وتعالى، والعرش: هو أعلى المخلوقات، وعليه استوى الله عز وجل، يعني علا عليه علوًّا يليق بجلاله وعظمته، لا نكيّفه، ولا نمثّله، وهذا العلو أجمع عليه السلف الصالح لدلالة القرآن والسنة والعقل والفطرة على ذلك.

وأما العلو الوصفي فمعناه أن الله له من صفات الكمال أعلاها وأتمها ، وأنه لا يمكن أن يكون في صفاته نقص بوجه من الوجوه.

وفي دعاء القنوت جملة يكثر السؤال عنها مما يدعو به أئمتنا في قنوتهم يقولون :" هب المسيئين منا للمحسنين"، فما معناها؟

أقرب الأقوال فيها أنها من باب الشفاعة، يعني أن هذا الجمع الكبير فيهم المسيء، وفيهم المحسن، فاجعل المسيء هدية للمحسن بشفاعته له فكأنه قيل وشفِّع المحسنين منا في المسيئين.

المبحث الثالث : فيه مسائل:

الأولى : استحب بعض أهل العلم أن يفتتح قنوته في الوتر بما صح عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ولفظه :" اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونستهديك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثني عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ونخلع ونكفر من يفجرك ، اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، وإليك نسعى ونحفِد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجِدَّ بالكفار ملحق ..." (١)

والأقرب أن الأمر في هذا واسع .. فإن شاء بدأ بما يروى في حديث الحسن بن علي ، وإن شاء بدأ بما روي عن أمير المؤمنين ﷺ.

وإن شاء فعل هذا تارة وهذا تارة.

الثانية : اختلف العلماء في القنوت في الوتر هل يشرع في السنة كلها أو لا ؟

فالمشهور من مذهب الحنابلة أنه يشرع القنوت في السنة كلها .

قال ابن قدامة :" القنوت مسنون في الوتر في الركعة الواحدة في جميع السنة ، هذا هو المنصوص عند أصحابنا" (٢)

وقيل : إنه يشرع في النصف الأخير من رمضان وهو مذهب الشافعي ، ورواية عن الإمام مالك وأحمد ...واختاره أبو بكر الأثرم من أصحاب الإمام أحمد (٣)

واستدلوا بأنه روي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه كان لا يقنت إلا في النصف الأخير من رمضان (٤)

وكذا صح عن ابن عمر رضي الله عنهما (٥)

وقيل : إنه لايشرع القنوت في الوتر مطلقاً ...

وهو مذهب الإمام مالك (٦) لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ في القنوت في الوتر حديث ..

---

(١) رواه البيهقي (٣١٤٣) وصححه ، وفيه زيادات.

وانظر " روضة الطالبين " للنووي (٣٣١/١) "المجموع" (٤٩٨/٣).

"(٢) المغني" (١١١/٢).

(٣) المغني" (١١١/٢) ، "المجموع" (٥٠٤/٣).

(٤) حكاه الترمذي في " سننه" بعد حديث (٤٦٤).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٦٩٣٢) ، (٦٩٣٣) وإسناده صحيح.

(٦)"الكافي في فقه أهل المدينة" (٢٥٦/١).

والراجح والله أعلم أن الأمر في هذا واسع.

فإن قنت أحياناً وترك أحياناً فلا حرج مع قوة القول الثاني وهو أنه لا يشرع إلا في النصف الأخير من رمضان ، لأنه ثبت عن اثنين من الصحابة رضي الله عنهم.

وبناء عليه فلا ينبغي المداومة على القنوت في أيام السنة.

وينبغي للإمام أن يترك القنوت في عدة ليالٍ من النصف الأول من رمضان ، ويحرص عليه في النصف الأخير وفي العشر الاواخر منه ... والله أعلم

الثالثة : محل القنوت بعد الركوع ، لأن النبي ﷺ دعا في قنوت النوازل بعد الركوع.

وروي عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

وقيل: إن محله قبل الركوع.

لأنه صح عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وروى الأعمش ، عن إبراهيم النخعي قال : "كانوا يقولون: القنوت بعدما يفرغ من القراءة" (١)

والراجح : أنه بعد الركوع ويجوز قبله.

قال ابن قدامة :" وروي عن أحمد أنه قال : أنا أذهب إلى أنه بعد الركوع ، فإن قنت قبله فلا بأس" (٢)

وقال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله :" المشهور من المذهب أنه يجوز القنوت قبل الركوع وبعد القراءة ، فإذا انتهى من قراءته قنت ثم ركع ، وبعد الركوع ، لأنه ورد ذلك عن النبي ﷺ في قنوته في الفرائض ، وعليه فيكون موضع القنوت من السنن المتنوعة التي يفعلها أحياناً هكذا ، وأحياناً هكذا". (٣)

الرابعة: استحب بعض أهل العلم أن يختم دعاءه في القنوت بالصلاة على النبي ﷺ لأنه ورد في بعض ألفاظ حديث الحسن بن علي رضي الله عنه.

ولما روى الترمذي (٤) عن عمر رضي الله عنه أنه قال :" الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء حتى تصلى على نبيك".

لكن يقال : إن زيادة الصلاة على النبي ﷺ في حديث الحسن لا تصح ... وما روي عن عمر رضي الله عنه فهو موقوف عليه ، ولا يصح مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

---

(١) "مصنف ابن أبي شيبة" (٦٩٠٠) ، (٦٩٠٨).

(٢)"المغني" (١١٢/٢).

(٣)"الدروس الفقهية" (٣٩٨/١).

(٤) برقم (٤٨٦).

وعليه فله أن يختم بالصلاة على النبي ﷺ وله أن يختم بغيره.
واستحب بعض العلماء أن يختم الوتر بقوله :" اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك" فلا بأس وقد ورد في حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه :"كان يقول في آخر وتره" (١)
قلت : وفيه نظر ، لأن المراد في آخر الوتر ، أي بعد الفراغ منه ، وليس المراد في آخر دعاء الوتر لأنه لم يحفظ أن النبي ﷺ قنت في الوتر.

الخامسة : لا يشرع مسح الوجه باليدين ، لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ في حديث صحيح.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" وأما رفع النبي ﷺ يديه في الدعاء فقد جاء فيه أحاديث كثيرة صحيحة ، وأما مسحه وجهه بيديه فليس عنه فيه إلا حديث أو حديثان لا يقوم بهما حجة والله أعلم".(٢)

السادسة : لا بأس بالزيادة على ما ورد في دعاء القنوت ، لكن ينبغي مراعاة ما يلي :
- الأفضل أن تكون الزيادة من الأدعية المأثورة في القرآن والسنة....
- أن لا يطيل إطالة تشق على المأمومين.
- أن لا يتخذها شعاراً يداوم عليه ، بل ينوّع بينها... (٣)

السابعة : تكلُّف العبارات المسجوعة واللحن والتطريب والتغني في أداء الدعاء مما كرهه أهل العلم وأنكروا على من فعله في القديم والحديث ، فينبغي للإمام أن يجتهد في إخلاص النية ، وأن يلقي الدعاء بصوته المعتاد بتضرع وابتهال مبتعداً عن التكلُّف الذي يصرف قلبه عن التعلق بربه.

والله الموفق.

(١) أخرجه أحمد (٧٥١) ، (٩٥٧) وإسناده قوي وقد وقع فيه اختلاف ، أبو داود (٧٤٢٧) ، والترمذي (٣٥٦٦) ، والنسائي (١٧٤٧) ، وابن ماجة (١١٧٩).
(٢)" مجموع الفتاوى " (٥١٩/٢٢).
(٣)انظر "دعاء القنوت" للشيخ بكر أبو زيد على الشبكة.